اجتهادات

عفاريت .. وفساتين !

حين يعتقد الناس فى القرن الحادى والعشرين أن الجان والعفاريت هم السبب فى حرق بعض منازل قريتهم، فهذا يعنى أن قطاعاً من مجتمعنا يعيش فى خرافات كانت محل استهجان حتى فى بعض مراحل التاريخ القديم والوسيط. وعندما يصير أهالى قرية المناصافور بالشرقية أو بعضهم ضحية للدجاَّلين والمشعوذين الذين تنتشر إعلانات كثيفة عنهم فى عدد كبير من القنوات الفضائية التى تبث أفلاماً عن طريق القرصنة فى الغالب، وكانوا هم أبرز «أبطال» برنامج موقوف الآن فى فضائية محترمة، فهذا يدل على أن قشور الحداثة السطحية تتآكل فى مجتمعنا.

وقد تصادف أن تزامن ذلك مع حملة من الحملات الغوغائية الخرافية السائدة فى موقع «فيس بوك» ضد متسابقة فى برنامج المواهب «آراب جود تالنت» بدعوى أن الفستان الذى ارتدته مفتوح الصدر. ويعنى ذلك أن مستوى التخلف فى المجتمع يزداد إلى الحد الذى يجعل مسألة خاصة جداً موضع جدل عام، فى الوقت الذى تغيب القضايا المتعلقة بأوضاع بلادنا والتحديات التى تواجهنا عن هذا الجدل.

والأفدح من ذلك أن تبادر الفتاة التى وجدت نفسها موضع هجوم بذئ ينضح بالتخلف إلى الاعتذار عن أمر لا يخص غيرها لمن لا دخل لهم فى حياتها الخاصة، بدلاً من أن تتجاهلهم أو تلَّقنهم درساً فى معنى

الخصوصية، وفى نوع القضايا التى تستحق اهتمامهم إذا كان قد بقى لديهم شئ من عقل.

وليست هاتان الحالتان المؤلمتان إلا تعبيراً عما آل إليه مجتمعنا بعد أكثر من قرنين على محاولة إقامة دولة حديثة فى عصر محمد على. ولكن المجتمع المسكون قطاع منه بالجان والعفاريت، والمهجوس قطاع آخر بالملبس والمظهر، والمغروسة قطاعات غيرهما فى أشكال أخرى من التخلف والتعصب والتطرف، ليس إلا الحصاد البشع لعقود طويلة من التصحير الثقافى والتدهور التعليمى والتقييد السياسى والاستغلال الاقتصادى.

فقد أخذت ارهاصات التقدم الذى شهدها النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى التراجع تدريجياً منذ الستينات. ولكن الحالة المترتبة على هذا التراجع لم تظهر إلا فى السنوات الأخيرة فى ظل ثورة الاتصالات التى كشفت ما فى أعماق المجتمع، والتقلبات التى حدثت منذ ثورة 25 يناير التى استهدفت تغيير هذه الحالة المتخلفة . لكن القوى المستفيدة من استمرار التخلف الذى يسهل لها تزييف الوعى العام تصدت للثورة وسعت إلى احباط أهدافها.